

الخصائص

والقوانين التي وضعها المتقدمون (وتقبلوها) وعمل بها المتأخرون معنى يفاد ولا غرض ينتجيه الاعتماد وكان القوم قد جاءوا بجميع المواضي والمضارعات وأسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر وأسماء الأزمنة والأمكنة والآحاد والثنائي والجموع والتكابير والتصاغير ولما أقنعهم أن يقولوا : إذا كان الماضي كذا وجب أن يكون مضارعه كذا واسم فاعله كذا واسم مفعوله كذا واسم مكانه كذا واسم زمانه كذا ولا قالوا : إذا كان المكبر كذا فتصغيره كذا وإذا كان الواحد كذا فتكسيه كذا دون أن يستوفوا كل شيء (من ذلك) فيوردوه لفظا منصوفا معيَّنا لا مقيسا ولا مستنبطا كغيره من اللغة التي لا تؤخذ قياسا ولا تنبيهها نحو دار وباب وبستان وحجر وضبيُّع وثعلب وخُزَز لكن القوم بحكمتهم وزنوا كلام العرب فوجدوه على ضربين : أحدهما ما لا بدَّ من تقبله كهيئته لا بوصيَّة فيه ولا تنبيه عليه نحو حجر ودار وما تقدِّم ومنه ما وجدوه يُتدارك بالقياس وتخفُّ الكُلُافة في علمه على الناس فقدَّسَنوه وفَصَّلَوه إذْ قدَّروا على تداركه من هذا الوجه القريب المغنى عن المذهب الحَزَنَ البعيد . وعلى ذلك قدِّم الناس في أوَّل المقصور والممدود ما يتدارك بالقياس والأماراتِ ثم أتَلَّوْهُ ما لا بدَّ له من السماع والروايات